

لدرجات الحديث الضعيف

بقلم الأستاذ: محمد إبراهيم شقره
المدير الإداري بوزارة الأوقاف

قال رسول الله ﷺ - :

« من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .

مرتبة السنة النبوية في الحجية :

من المقطوع به عند كل علماء الاسلام ان السنة النبوية تلي مرتبة الكتاب الكريم في الحجية ، اذ هي مفسرة لنصوصه ، ومبينة لمعناه ، بتخصيص عامه وتقييد مطلقه ، وتوضيح مشكله ، وبيان مجمله ، وتفصيل أحكامه ، وتعين مبهمه ، وتعليل محكمه ، ودفع إيهام اضطرابه ، كل ذلك جعل للسنة النبوية منزلة عالية تقف بجانب منزلة القرآن الكريم في قداسها والدينوية لها ، وفي الاتباع لأحكامها ولزوم العمل بما جاء فيها .

تفرد السنة النبوية بمزية الاسناد الصحيح :

وقد من الله على هذه الأمة بأن أرسل لها نبياً يتلو عليها آياته ويذكرها ويعلمها الحكمة والكتاب ، فكان الرحمة المهداة والصفوة المحببة ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح هذه الأمة حتى صارت أعظم الأمم وأهداها وأقربها منزلة من ربها ، وفارق صلوات الله عليه الدنيا وترك لأمته كتاب الله وسنته ، أما الكتاب فلا يتطرق أدنى شك لمسلم أنه محفوظ بحفظ الله له . وأما السنة فقد اصطحبت الأهواء الخافدة على الاسلام ورسوله بعد موته ، واجترحت إنما لا يغتفر بالوضع والكذب والتدليس ، واخترعت لذلك أساليب وطرقاً فضحها الله على أيدي عدول أعلى الله قدرهم .

بتنافحتهم عن سنة رسول الله ﷺ . واعتمدوا الجرح والتعديل في تقويم الأسانيد والحكم عليها بالوهن أو القوة ، وبذلك استقام الأمر لهم ولم يعد هناك خوف على سنة رسول الله ﷺ من تلك الأهواء الحاقدة ، فكانت لها مزية لم تكن لسواها وهي صحة الاسناد ، وبذلك حفظت كما حفظ الكتاب .

درجات الحديث :

وأحاديث الرسول عليه السلام تدور بين درجات ثلاث ، الصحة والحسن والضعف ، وأعلاها ما كان في درجة الصحة ، وأوسطها ما كان في درجة الحسن ، وأدناها ما كان في درجة الضعف ، والمقبول من هذه الدرجات درجتان فقط ، وهما الصحة والحسن ، فإذا كان الحديث صحيحاً أو حسناً يقبل في الأحكام ويصلح أن يحتج به ، وإذا كان الحديث ضعيفاً ففي الأحكام لا يقبل وفي فضائل الأعمال يختلف في قبوله ، فطائفة ارتضت العمل به وطائفة رددته ، وليس هذا مجال التفصيل في أمر العمل بالحديث الضعيف .

بم يكتسب الحديث درجته ؟

ووضع الحديث في إحدى هذه الدرجات منظور فيه إلى سنده ، فإن تحققت في سنده شروط الصحة كان صحيحاً ، أو شروط الحسن كان حسناً ، أو شروط الضعف كان ضعيفاً ، وهذا الوصف للسند هو الذي يحكم به على متن الحديث بإحدى هذه الصفات ، فيعمل به أو يرد ، ولا يطالب المحدث بالبحث عن علة في متن الحديث إذا كانت العلة غير واقعة فيه ، وإن كان المتن في حقيقة الأمر قد يكون على غير الصفة التي حكم بها عليه ، وهي في الحقيقة صفة للسند نفسه ، وهي التي اكتسبت المتن صفته ، فالصحة والضعف إذا صفتان مكتسبان من قوة السند أو ضعفه وكذلك الحسن .

منازل الحديث بصفته التي هو عليها .

وصفة الحديث التي حكم بها عليها أكثر من منزلة ، فالصحة وصف عام لكل الأحاديث التي تنطبق عليها هذه الصفة ، غير أن الأحاديث التي هذه صفتها لا تكون من الصحة بمنزلة واحدة ، بل تكون فيها تارة عالية وتارة غير ذلك ، ولذا فإن أهل المعرفة بالحديث ومصطلحه يقولون - (لا يجوز في اسناد بأنه أصح الأسانيد مطلقاً لأن تفاوت مراتب الصحة مرتب على تمكن الاسناد من شروط الصحة) ، وما يقال في الصحة يقال في الضعف ، فالضعف تارة يكون شديداً بادي الضعف ، وتارة يكون في منزلة وسط ، وتارة يكون دانياً فيه غير مقبول ألبته . لأن تفاوت مراتب

الضعف مرتب على تفاوت الضعف في الاسناد، وما قيل في الضعف يقال في الحسن كذلك ، ومن هنا كانت عبارات أهل هذا الفن عبارات دقيقة ضابطة للمعنى المراد ، فإذا قيل : حديث حسن الاسناد او صحيح الاسناد فذلك دون قولهم : حديث حسن أو صحيح ، لانه قد يصحح أو يحسن الاسناد دون المتن للشذوذ أو علة ، وعبارة الترمذي المشهورة - حديث حسن صحيح تدل على دقة فهم وتقوى في نفسه فهمي تعني - أنه روى باسنادين احدهما يقتضي الصحة والآخر الحسن .

هل صحة الاسناد تقتضي صحة المتن والعكس ؟

هذه مسألة تحتاج الى نظر وتأمل لأنها كانت مختلفاً فيها بين أهل الفن ، والوصول فيها الى وجه الحق ليس بالامر العسير على من يحكم على الاشياء وفق القواعد العلمية المعروفة .

فإذا قيل - هذا حديث صحيح فهذا معناه . أي ما اتصل سنده مع الاوصاف الاخرى من عدل الرواة وضبطهم وخلوه من الشذوذ والعلة ، فانه عندئذ يكون مقبولا عملاً بظاهر الاسناد ، ولا يكون مقطوعاً به في نفس الامر لجواز الخطأ والسيان على الثقة .

وكذلك اذا قيل - هذا حديث ضعيف فمعناه لم يصح اسناده على الشروط المذكورة لا أنه كذب في نفس الامر ، لجواز صدق الكاذب واصابة من هو كثير الخطأ ، ولكن هذا أمر فرضي وليس قطعياً ، والمقطوع به يقيناً في الصحيح صحة السند ، وفي الحسن حسن السند ، وفي الضعيف ضعف السند ، والحكم على متن الحديث انما هو بالحكم على سنده ، بل لا سبيل الى الحكم على المتن الا بالحكم على سنده ، وما دام الامر كذلك فلا تستطيع أن نحكم على السند بالحكم على المتن ، وهذا جلي لا لا خفاء فيه .

واحياناً قد يكون الحكم على السند ليس قاضياً بالحكم على المتن . فقد يكون مثلاً السند صحيحاً وليس كذلك المتن ، وهذا كالحديث المعلق ومثاله : ما انفرد به مسلم في صحيحه من رواية الوليد بن مسلم حدثنا الاوزاعي عن قتادة أنه كتب اليه يخبره عن أنس بن مالك انه حدثه قال - صليت خلف النبي ﷺ وابي بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم في اول قراءة ولا في آخرها ، ثم رواه من رواية الوليد عن الاوزاعي : اخبرني اسحق بن عبدالله بن ابي طلحة انه سمع أنساً يذكر ذلك ، وروى مالك في الموطأ عن حيد

عن أنس قال - صليت وراء أبي بكر وعمر وعثمان فكلهم كان لا يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، وزاد فيه الوليد بن مسلم عن مالك صليت خلف رسول الله ﷺ .

والحديث عن وجوه العلة في هذا الحديث يطول ، فمن شاء الاستزادة فليرجع اليه في مكانه من كتب المصطلح وبخاصة كتاب تدريب الراوي للسيوطي رحمه الله في حديثه عن النوع الثامن عشر (المعلل) ، ففيه شفاء وزيادة .

ومثل المعلل المضطرب والمدرج ، وأظهر ما تكون العلة بادئة لاختفاء فيها في الحديث الموضوع ، وقد كفانا الله مؤنته بأولئك الذين أكرمهم الله بالذود عن سنة نبيه عليه السلام .

حتى يتقوى الضعيف ؟

سبق أن قلنا أن تفاوت مراتب الضعف مرتب على تفاوت الضعف في الاسناد، أي ان الضعف مراتب فمنها الشديد ومنها الوسط ومنها المتدني ، فإذا كان الضعيف ناجماً عن نكارة أو فسق في الراوي أو كذبه فلا يرقى الحديث الى أعلى من درجة الضعيف إذا كان قد جاء من طريق أخرى وكان الضعف فيها مثل الضعف في الطريق الأولى، وذلك لقوة الضعف وعدم قدرة تلك الطريق على جبر الطريق الأولى .

أما إذا روي الحديث من وجوه ضعيفة فلا يحصل من مجموع هذه الطرق حسن لهذا الحديث المروي منها إلا إذا كان ضعفه ناجماً من ضعف راويه الصدوق الأمين، فإنه عندئذ يرتفع الى درجة الحسن فيكون الحديث الذي هذا شأنه حسناً لغيره، مثال ذلك : ما رواه الترمذي وحسنه من طريق شعبة بن عاصم بن عبد الله عن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه أن امرأة من بني فزاره تزوجت على نعلين ، فقال رسول الله ﷺ أرضيت من نفسك ومالك بن نعلين ؟ قالت - نعم فاجاز ، قال الترمذي - وفي الباب عن عمر وأبي هريرة وعائشة وأبي حذرد ، فعاصم ضعيف لسوء حفظه ، وقد حسن له الترمذي هذا الحديث لحجيته من غير وجه .

وكذا إذا كان الضعف ناشئاً من ارسال أو تدليس أو جهالة رجال زال الضعف بحجيته من طريق أخرى وكانت مرتبته دون مرتبة الحسن لذاته ، أي يكون حسناً لغيره ، وسوق الامثلة يطيل البحث ، فمن شاء فليرجع الى كتب القوم في ذلك فإن فيها غنية .